ممدوح سليم

ربع قرن من النضال الكردي الدؤوب

العضو العامل : مسعود محمد

في مختتم العام الأول المنسلخ من عمر المجمع العلمي الكردي منذ صدور القانون بتأسيسه ومع بزوغ الفجر من عامه الثاني راودتني فكرة نشر كلمة اتوجه فيها بالتهنئة وبالكلام المناسب للمقام فسألت نفسي ماعساي اخاطب به القاريء يكون في مستوى جلال الحدث فما كل يوم يولد كهذا البكر بكر يجمع في دلالاته خطورة السياسة الى مهابة العلم الى قداسة الأجتماع ! انها مناسبة حريّة أن يأتي فيها الكاتب بجديد غير مطروق وطريف غير منظور ومالأسترسال في التهنئة والمراوحة حولها والتعكز على تهويل الكلام وركم الألفاظ الا ضرباً من الأطالة في الزلفي ألفناها وسئمناها حتى أصبح عدمها خيرا .. ان فسحة الجولان المجدى بعد ازجاء التهنئة وبيان خطورة الحدث لتضيق بوجه القلم الذي يتحرى عن كلام يتكافأ مع عناء كتابته ونشره وقراءته فالخوض في المعاد وتكرار السرد للمنجزات وولوج المستقبل وكيف يكون اشراقه .. أمور هي أدنى الى العبث لأنها لاتضيف الى ماهو واقع شيئاً ولاتزيد الى علم القارىء علماً أما كيل المديح للمجمع من أحد منتسبيه وبيان

ماكان من عظائم أموره فهو كأي مديح في أي حقل كان ، من قبيل أبغض الحرام في موازين الحق ، وما اكثر ماتكون المباهاة آية الخواء وعلامة الأفلاس فأنك حيثما سمعت ضجيج الأدعاء كان لك ان تستيقن من نقيضة وخليق بالعاملين أن تنطق أعمالهم وتكسب لهم الثناء ولايلجأوا الى الاعلان الا في حدود البلاغ لقوم يفقهون . اما الذي انجزه المجمع خلال بضعة الأشهر التي تقع بين ابتداء عمله في ١٧ آذار وابتداء عطلته في أول تموز ، وهي في مجموعها تقل عن ثلاثة أشهر ونصف شهر ، فهو ان كان يوازن ماهو منتظر منه فقد أدى به الأمانة وأبرأ الذمة ، وان كان اكثر منه فذلك ضمن مسؤولياته التي ليست لحدها الأقصى غاية ولانهاية ، أو ان كان أقل من المنتظر فعذره عذر الصاعد الى ذروة الجبل من قرارة سفحه وشفيعه صدق النية واستفراغ الجهد . الا اني لا اعدو حدود التفاؤل المتزن المقتصد حين اقول انه بقدر مايكون استهلال أمر من الأمور بشيرا بالخير فان بواكير الغلة من حرث تم حتى الآن في حقول اهتمامات المجمع هي بلا ادنى ريب مدعاة الرضى ومناط الرجاء ولاسيما اذا قيست الى بطأ الدر وبعد المستقى في معتاد العمل المجمعي لما تقتضيه طبيعته العلمية من ثبات التوثق وما تتصف به من شمول الأثر فأن كلمة يبتدعها مجمع من المجامع في مصطلح علمي او أدبي أو فني وتنهض بحاجة من حاجات التغيير والتعبير خليقة ان تعيش في تراث الأمة وتقرع أخلاد مفكريها ألفا من الأعوام أو أبدا من الآباد ورب خلل في تركيبها أو فساد في قياسها جرّ الى خلاف يُضنى في الجدل اجيالا من كتابها ويشتط بمذاهبهم ويفرقهم شيعا في قابل الأيام ، لذلك لايستكثر المنصف في ضبط الكلمة الواحدة وتسديد مرماها وتحديد معناها وقتا يطول أيما مطال وقد يعسر ميلادها حتى يظن الناظر العجل أنها استنفدت صبر الحليم وما تلك الأناة الاّ سلامة المستأني من زلل العجل . فاذا كان ذلك كذلك في الكلمة الواحدة فقد وضح شأن الجملة والكل من

مهام المجمع وهي تحوي اللغة الكردية ادبا ومعجما واملاء وتشمل التراث والتأريخ ماكان منهما كرديا وغير كردي في ارض الرافدين وتلم بالعلوم والفنون وسائر مايتصل بالمعرفة الأنسانية مما تنهض به المجامع المتعددة الميادين. وظني ان القارىء مطلع على جوانب من منجزات المجمع وسيطلع على جوانب أخرى آناً بعد آن وليس ذلك كله من همى في هذا المقام فهو أمر واقع قل أم كثر ولا يغير السرد مقداره نقصا ولا زيادة ولم يكن المامي به الا من قبيل الضرورة التي لاتدفع فالذي اردت ان اتخذ له من هذه الذكرى تكئة الكلام وسند المقال لم يكن يتصل بالمجمع ومهامه وأهدافه الا كما تتصل الصدفة السعيدة بحسن التوفيق في شيء ما على غير أهبة أو انتظار ، وتفصيل الأمر انه قد اقتضى العمل باحدى فقرات المادة الرابعة وختام المادة الخامسة من قانون المجمع ان يقوم موفدوه بزيارة المجامع ما بين عربية وشرقية وغربية التماساً لغايات رسمها وأوجبها القانون في مواده وفقراته وكان سانحة من سوانح الحظ المساعف ان يكون نصيبي زيارة مدينة الشام لهذا الهدف وفيما انا بسبيله من اداء الواجب الموكول الي في هذه المدينة الجميلة الجليلة التقيت بأكثر من نصف قرن من الجهاد القومي الكردي تقمص رجلا كلل المشيب هامته بقطن ثمانين عاماً أو يزيد وبث الضعف في بنيانه وجثمانه حتى انه ذكرني بقول شوقي في رجل مثله جليل نحيل :

ارتدت العاهات عن أخلاقه
لسموهن وحلت الأعضاء
عطفته عطف القوس يوم رماية
وثنته كالماضي فزاد مضاء

عطفته الشيخوخة وثنته واستنفدت قواه الا بريقاً في عينيه ينبىء بالنار التي كانت تتقد فيهما ايام الشباب والعنفوان ، والا خطي ثقلت بوقر الايام

والاحداث وماجرته عليه من نقص الأموال واثمرات يزيدها ثقلا محفظة ضخمة عامرة المحتوى بالأوراق والأسناد لم أكد اجده منفكا منهـا وكنت ألقي انـا صعوبة في حملها عنه اذا ارتقينا درجا أو مشينا في بعض الطريق صاعدين .. هذا الرجل هو (ممدوح سليم) الثائر من كردستان الشمالية والمنتفض بالحماس القومي منذ بواكير القرن العشرين والمشارك مع الشيخ سعيد في ثورة ٩٢٥ ومن مؤسسي جمعية « خويبون » بعد ذلك ـ الشريد الطريد المحكوم عليه بالاعدام غيابا ، المفلس من حطام الدنيا ، الغني بقلبه وصيته وجهاده . ممدوح سليم قمة شامخة من قمم الوطنية الكرديـة في صلابتها واستقامتهـا وقطعة مستعرضة من تأريخ شعبه نظيفة غنية عميقة ما احتك بها كردي الا تسرب اليه من فيضها شيء يضيئه ويغنيه فلقد وجدت الساعات التي قضيتها في صحبته من امتع الأوقات وأخصبها وأوفرها تأثيرا واثارة فاني كنت ألمس في كل دقيقة من دقائقها جديدا من تجارب هذا الانسان الفذ ومن معاناته في ماضي ايامه يتدفق على حاضري ويطعمه بنكهة رائعة ويبتعث فيه نشوة غامرة لايوجد مثلها الا في حديث تنبع قطراته الأولى من معين ستين سنة تتابعت في النضال الدؤوب وتلاحقت فيها الأحداث وتنوعت التجربة وتنامت المحنة . لقد تمثلته في سماء النضال الكردي شمسا أضاءت دربه حقبة طويلة من الزمن وهي لما تزل تتوهج بالنور والقوة والحرارة في انحدارها نحو افق المغيب .. المغيب واحسرتاه وانه من سعد الطالع لأي كردي ان يمتلىء منها عينا وقلبا وشعورا قبل ان يجري قلم القدر في رسم مصيرها بنبأ « تستك منه المسامع » . ولا أظنني مغاليا اذا قلت انه قلما استطاعت أمة ان تغبن نفسها في مأثرة ومحمدة كما نحن فاعلون معشر الكرد في نسياننا لانسان مثل ممدوح الثائر المجاهد الاديب المتضلع في الكردية والفرنسية والتركية المقترن وجوده بالوطنية الكردية المعاصرة المجسد للتضحية والفداء بتجرد و نكران ذات فالأمم تقيم التماثيل وتنصب النصب

وتخلد الذكرى لأناس لايطاولون ممدوحاً في القيم المخلدة للذكر وفرط عملقتهم انهم يقفون على اكتاف أمم عملاقة وتتوفر من حولهم القرائح الخلاقة والأقلام المبدعة تحوك لهم أطر الثناء وهالات التقديس • ونحن امة نعاني ضعفاً في الحماس لتقييم مايستحق التقييم من احداثنا و أشخاصنا وقد نبهنا الى هذا الضعف الخطير شاعرنا الخالد الحاج قادر قبل قرن من الزمان وتفجّع على ضياع أسماء لامعة وذكريات مشرفة من صفحات تأريخنا لانعدام واعية تعيهم وتصونهم من الفناء وحشا ديوانه بعشرات الأعلام من امراء وشعراء وعلماء أضاءوا أفقنا وطواهم النسيان أو كاد • وماكان لنا من عذر واه بالأمس قد سقط عنا اليوم بعد ان انفتحنا على الدنيا وأخذنا بنصيب من حضارتها فصار لنا مجمع وجامعة وتعددت صحفنا وكثر فينا حملة الشهادات العليا وذوو الأختصاص وادركنا مقام الموهبة والتضحية في حياة الشعوب فاذا كنا نلام على التفريط في امجادنا في يوم مضى فاننا ندان عليه الآن بالخط العريض • ولقد تركت ممدوحاً وفي عينه سوابق الدمع على بضعة الآف الكتب التي دفع ثمنها من لقمة فمه ودم قلبه عبر عشرات السنين وقال عنها بلهفة الوالد الذي يقول في وحيده «هذه الكتب هي عمري كله وأنا واثق انها ستباع بسعر ورقها بعد موتي اذا تركت لشأنها دون عناية وحماية » ثم انتهى الى ان خير حماية لها من التلف هي في الايصاء بها الى المجمع العلمي الكردي •• تركته وهذه هي نيته التي عقد عليها العزم وكنت اشعر بالميل الى التواري عن عينه المبللة لشناعة المفارقة في عظم التضحية من جانبه وعظم الجحود من جانبنا وقد نقلت الصورة بامانة الى الزملاء في المجمع وانقلها هنا الى الشعب الكردي عامة وحملة المسؤولية منه خاصة لنرى ماذا نحن في أمر ممدوح فاعلون !! •

★ ★ ★